سينما

خليل صويلح عن محمد ملص

سيرة سينمائية لفرد تعكس تاريخ بلد

كتاب جديد للسوري خليل صويلح يمزج التحليل بالحميميّ في متابعة أفلام مواطنه المخرج محمد ملص، ويمزج بين الذاتي والعام في تاريخ البلد

أشرف الحساني

في «احْـكِ منامكَ حتّـى أراك» («منشورات جسور للثقافة»، السعودية، 2024)، يحفر السوري خليل صويلح في تربة محمد ملص وسينماه. فالمحتوى النقدي لا يكتفي بنظرياتٍ وسياقات تتضمّنها عادة كتبٌ نقدية سينمائية، إذ يفتح أفق الكتابة على الحميميّ المُكثّف والغنيّ، ويُحرّرها من طابعها النقدي التحليلي المباشر، ويُقدِّم صُوَراً عن علاقة صويلح بملص.

يصعب اعتبار الكتاب نقداً سينمائياً. لكنّ ذلك لا يعني صويلح بشيء، لأنّه حاول بوعي تفكيك الأنساق الثقافية التي تتأسّس عليها الكتابة، متّخذاً من الشكل مختبراً لتوليد صُوَرٍ ومشاعر ودهشة وألم. فكلّ مقالة تتناوَل فيلماً لملص، من دون تقديم قراءة تحليلية دائماً، لسرده بطريقة مذهلة حكايته مع ملص وسينماه، والسياق التاريخي المُساهم في ولادة هذا الاسم، الذي يُعتَبر علامة فارقة في تاريخ سينما المؤلّف في سورية.

بِبَسْطه حكياً دافئاً، يستغلّ صويلح المساحة اللامحدودة التي يُتيحها السرد، لقول بعض العالق في ذاكرته عن سينما ملص ومنعطفاتها وتاريخها. المطروح في الكتاب ربما لا يُعثر عليه في كُتبٍ أخرى، لاتخاذه شكل نَفسٍ سرديّ يُلامِس عمق الذاكرة ويُفكّك أوصالها.

يُدخل صويلح قارئ كتابه في متاهات سردية مغرية، تجذبه إلى معرفة المخرج، وتلمّس عمق الجرح الغائر في جسده، منذ أن أصبح «يمضغ الوقت في دمشق على دفعات، كأنّ عجلة سينماه توقّفت إلى الأبد». والكتاب يُظهر الأصالة السينمائية لملص، ووعيه مفهوم التزام قضايا سورية وعربية، ويسرد سيرة آلامه في علاقته بالكاميرا والنظام والرقابة والمجتمع. كما يُقدّم معلومات وأسماء وأماكن وفضاءات ومقاهي، عرفت عشّاقَ السينما وصنّاعها.

هذا الحكي الشخصي يُساهم، بطريقةٍ غير مباشرة، في تكوين صورة دقيقة عن المُعاش اليوميّ في سيرة ملص، وقيمة مُنجزه السينمائي. فالمؤلّف يحرص على كتابة غير المعروف، جاعلاً إياه أفقاً للبوح والتفكير. ولا يكتفي بالأفلام، إذ استعاد رسائل له من موسكو، وكان فيصل درّاج يتهيأ للسفر إلى باريس لاستكمال دراسة الفلسفة. تكشف الرسائل، بطريقة خفيّة، علاقة ملص بماركس والفلسفة. المثير للدهشة كيفية أعاد صويلح . بصُوَر سينمائية ومشاهد يوميّة ورسائل وحكايات شخصية، وبالعالق في الذاكرة. رسم صورة أثيرة لتلك السيرة السينمائية.

للشكل طابع مُولّد للذكريات، يغوص عبره المؤلّف في تجربةٍ سينمائية تنبثق من جرح مجهول، مُقدّماً حقائق، وجامعاً مقتطفات من آراء ملص ومفهومه وتصوّره لسينماه. كما يُضمر تحايلاً جمالياً ذكياً، وقدرة على ابتداع قالبٍ فني يُمرّر عبره سرده، خاصّة أنّ المنعطفات الكبيرة في تاريخ الثقافة البشرية عبارة عن ثورات تحقّقت عبر مفهوم الشكل، والأخير يحثّ الكتّاب والمفكّرين والرسّامين على البحث عن أشكال جديدة، تتقدّم الكتابة بها، وتُضيءُ طريقاً جديدة يُعوَّل عليها مستقبلاً.

> متاهاتٌ سرديةٌ مغريةٌ تجذب القارئ إلى معرفة المخرج

باستعانته بالسرد لتمرير تحليلاته وتأمّلاته الشخصية، يقطع صويلح شوطاً كبيراً في الكتابة، ويخرج من طابعها النظريّ الذي يمتعض الناس منه، لتفضيلهم المشاهدة والاستمتاع بها، على قراءة أشياء مُلغّزة بالنسبة إليهم. الطابع السرديّ لا يُعتَبر شكلاً أدبياً، بل قاعدة فكرية، تُتيح للكاتب التعبير بطلاقة، ورصد الحكايات والقضايا، من دون التخلي عن تحليل يُقدّم قراءات شخصية لأفلامٍ أنجزها ملص، وأنجزها آخرون عنه، كـ«فتح باب السينما» لنزار عنداري، المُرفق أيضاً بكتاب باللغة الإنكليزية: «سينما محمّد ملص: رؤى مؤلف سوري» (2018).

يُركّز صويلح على الألم في سيرة ملص، كاشفاً تاريخاً من الإجهاضات والمتابعات، بعد تراكم سيناريوهات في مكتبه، بطريقةٍ تبدو سيرته انعكاساً حقيقياً لسيرة بلدٍ. تاريخ السينما السورية، منذ سبعينيات القرن الـ20، تاريخ آلام، إذ لم تستطع مؤسّسات الإنتاج التخلّص من سُلطة الرقابة ومكرها. والتجارب السينمائية بعد ملص، الحاصلة على دعم أجنبي تحديداً، عرفت تحوّلات فكرية وجمالية عدّة. ورغم جودتها وأصالتها السينمائية، لا يزال تاريخ الرقابة يُرخي ظلاله على الواقع السوري.

قراءة كتاب خليل صويلح يجعلنا أمام واقع سوريّ، تفرض الرقابة فيه سُلطتها على المخرجين، وتعطّل تجاربهم، وتنتهك حياتهم الشخصية، وتدفعهم إلى العزلة والانتحار والجنون.

محمد ملص (مهدي فدواش/فرانس برس)

«مهرجان روتردام للفيلم العربي الـ24»

19 عنواناً جديداً وتكريمان لحلمي ولحام

روتردام ـ **العربي الجديد**

أعلن «مهرجان روتردام للفيلم العربي» أنّ 33 فيلماً ستُعرض في البرامج المختلفة للدورة الـ24، المُقامة بين 30 مايو/أيار و2 يونيو/حزيران 2024: «تُركّز هذه الدورة على التنوّع والغنى اللذين تقدمهما السينما العربية، في منصّة تعبّر عن أحلام ورؤى اجتماعية وإنسانية للمخرجين العرب، في الوطن العربي والمهجر»، كما في بيان صحافي صادر عن إدارته.

تضمّ مسابقة الأفلام الروائية الطويلة 9 أفلام: «ماء العين» للتونسية مريم جوبير («العربي الجديد»، 26 فبراير/شباط 2024)، و«يومين» للسوري باسل الخطيب، و«وداعاً جوليا» للسوداني محمد كردفاني، و«أبي لم يمت» للمغربي عادل الفاضلي، و«مندوب الليل» للسعودي علي الكلثمي («العربي الجديد»، 1 ديسمبر/كانون الأول 2023)، و«كواليس» للتونسية عفاف بن محمود والمغربي خليل بنكران، و«الصيف الأخير» للمصري شريف محسن، و«الأستاذ» للفلسطينية البريطانية فرح النابلسي («العربي الجديد»، 8 نوفمبر/تشرين الثاني 2023)، و«المابين» للتونسية ندى المازني حفيظ.

في مسابقة الأفلام الوثائقية 5 أفلام: «ق» للبنانية جود شهاب، و«من عبدول إلى ليلى» للعراقية الفرنسية ليلى البياتي، و«احكيلهم عنا» للأردنية رند بيروتي، والفيلم الفلسطيني «لد» لرامي يونس وسارة فريدلاند، و«الرقص على حافة بركان» للبناني سيريل عريس («العربي الجديد»، 7 أغسطس/آب 2023).

إلى ذلك، هناك 12 فيلماً قصيراً في المسابقة الخاصة بهذا النوع السينمائي: «عيسى» للمصري مراد مصطفى، وإنتاج مشترك بين مصر وفرنسا وقطر، و«قنينات» للمغربي ياسين الإدريسي، و«مول التليفون» لحمزة عاطفي، و«بتتذكري» للبنانية داليا نملش («العربي الجديد»، 5 يناير/كانون الثاني 2024)، و«ستين جنيه» للمصري عمرو سلامة، و«عقبالك يا قلبي» لمواطنته شيرين دياب، والسوريان «رافقتكم السلامة» لإبراهيم ملحم، و«سينما الدنيا» لعمرو علي، و«الحرش» للأردني فراس الطيبة، و«ترويدة» لموني أبو سمرا، والفيلمان السعوديان «لسنا أصدقاء» لفهد حدادي، و«ترياق» لحسن سعيد.

أما خارج المسابقة، فهناك 5 أفلام طويلة: «رحلة 404» للمصري هاني خليفة، و«ما فوق الضريح» للجزائري كريم بن صالح («العربي الجديد»، 15 مارس/آذار 2024)، و«وراء الجبل» للتونسي محمد بن عطية، و«أنيماليا» للمغربية صوفيا علوي، و«الثلث الخالي» للمغربي أيضاً فوزي بن السعيدي. يُذكر أنّ الفيلم السعودي «هجان»، للمخرج المصري أبو بكر شوقي، يفتتح الدورة الجديدة هذه، بينما يُعرض في ختامها «فاصل من اللحظات اللذيذة» للمصري أيضاً أحمد الجندي. علماً أنّ حفلة الافتتاح ستشهد تكريم الممثلين المصري أحمد حلمي والسوري دريد لحّام، الأول «تقديراً لما قدّمه في مسيرته الفنية المميزة، التي بدأت مع نهاية تسعينيات القرن الـ20»، والثاني «تقديراً لمساهمته الفنية الكبيرة في عالم السينما العربية»، إذْ يصف بيان إدارة المهرجان لحام بأنّه «أيقونة في الكوميديا العربية»، مُشيراً إلى تقديمه «أعمالاً تناولت بعمق قضايا اجتماعية وسياسية معقّدة، من خلال عدسة فنية جريئة ومبتكرة».

> تكريم ممثلين عربيين لهما بصمات في المشهد السينمائي

أحمد حلمي: «مسيرة فنية مميّزة» (إبراهيم رمضان/الأناضول)

أفلام جديدة

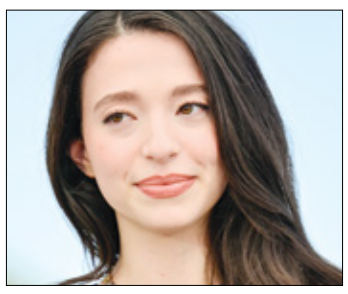

■ Anora لشون بايكر، تمثيل مايكي مادسن (Getty): بين نيويورك ولاس فيغاس، تتبدّل حياة أنورا (عاهرة شابة من بروكلين) كلّياً، عندما تُغرم بابن ثريّ روسيّ، وتتزوّجه سريعاً. بوصول الخبر إلى روسيا، تتهدّد حياتها لأنّ والدي زوجها يأتيان إلى نيويورك لإلغاء الزواج («السعفة الذهبية» في «كان 2024»).

■ Grand Tour لميغيل غوميز، تمثيل كريستا ألفايّاتي (Getty): يختار الفيلم (جائزة الإخراج في «كان 2024») رانغون (بورما)، عام 1918، ليروي حكاية إدوارد، الموظّف الحكومي في الإمبراطورية البريطانية، الهارب يوم زواجه من مولي. عاقدة العزم على الزواج، تنطلق مولي للبحث عنه، وتتبع مسار جولته الكبرى عبر آسيا.

■ The Substance لكورالي فارجات (Getty): إليزابيت نجمة عرض التمارين الرياضية، تُطرد بسبب عمرها (50 عاماً). عندما تعود إلى المنزل، ومعنوياتها في أدنى مستوياتها، تتلقى عرضاً غير متوقع، إذْ يُقدّم لها مختبر غامض «مادة» عجائبيّة، إذا حقنتها، تصبح «أفضل نسخة» من نفسها: «أصغر سنّاً، وأكثر جمالاً وكمالاً» (جائزة السيناريو لفارجات نفسها في «كان 2024»).

هذا ليس تنافساً وتسابقاً بل فنّ وتفكير

نديم جرجوره

مفردتان اثنتان يستخدمهما نقاد عرب، وزملاء وزميلات مهنة، في كلامٍ عن أفلام مشاركة في مسابقةٍ رسمية لمهرجان دولي: منافسة وسباق نحو الجائزة الأولى، تحديداً. مفردتان عربيتان تصلحان لأمور شتّى في الحياة اليومية، لكنّهما مسيئتان للغاية في أعمال فنية وأدبية، خاصة في مهرجان وجوائز. أساساً، فكرة الجوائز التي تمنحها مؤسّسات مختلفة، غير لائقة بأي إنتاج، يُفترض به أن يبتعد كلّياً عن استسهال وتسطيح وخفّة، ويُراد له أن يكون انعكاساً لواقع أو حالة أو انفعال أو تفكير أو رؤية. هذا مُنسحبٌ أيضاً على إنتاجات فنية مختلفة، في المسرح والفن التشكيلي والموسيقي، وغيرها، وفي الأدب أيضاً.

المفردتان تُهينان كلّ فعلٍ يصبو إلى كمالٍ أو سويةٍ، ويجهد في إحداث صدمة في لغةِ تعبير ومضمون نصّ. المفردتان تُلغيان عن الفيلم اشتغالات، تصنع منه صورةً ولغةً بصرية وتفكيكاً ومعاينة وتوثيقاً وفنّاً، وتُدخلانه في إطار سلعٍ، لا همّ لصانعيها وصانعاتها سوى التنافسِ والتسابق، وهذا حاصلٌ في نفوس مخرجين ومخرجات كثيرين، عرباً وأجانب، وإذا بناقد أو زميل وزميلة مهنة يساهمون في تفعيل الحاصل، ويُقلّلون من القيم التي يُفترض بمخرج ومخرجة أن يجعلانها نواة إنجازٍ فني وفكري أولاً، بتكامل يُثير متعة مشاهدة (رغم قسوة مضمون ومعاينة)، ويحرِّض على إعمال عقلٍ وتأمّل، وتفاعل مع شعور.

المهرجانات والجوائز مسؤولة بشدّة عن ترجيح التنافس والسباق، خاصة عند اختيار أفلامٍ، يكون بعضها مُسطّحاً وغير لائق بمهرجانٍ أول أو ثانٍ على الأقل، وعند تشكيل لجان تحكيم، بعض أعضائها يُنجز أفلاماً لا تليق بأي عرضٍ تجاري أحياناً، وإن تكن لائقة بعرضٍ كهذا تبقى مجرّد منتوج استهلاكيّ، يملأ خزائن جهات إنتاجية وجيوب صانع وصانعة له. المأزق أنّ نقّاداً عرباً، وزملاء وزميلات مهنةٍ، يستخدمون المفردتين في مقالاتٍ لهم، يدّعي بعضهم أنّها «نقدية».

أخيراً، يبقى قول وودي آلن أفضل ردّ: «من أنا كي أحكم على فيلم؟ السينما مسألة ذوق. لا أؤمن بالمنافسة بينَ السينمائيين، ولا في الفنّ عموماً. يمكننا أنّ نحبّ مونيه وسيزان في الوقت نفسه. بماذا ستكون السينما مختلفة (عن الفنون)؟» («باري ماتش». عدد خاص بالدورة الـ70 لمهرجان «كانّ»، المقامة بين 17 و28 مايو/أيار 2017).